من افتراءات المستشرقين على رسولنا الكريم ﷺ

دعوى عدم زهده ﷺ والرد عليها



أ.د/ عبد المنعم فؤاد (*)

بعد أن تعقبنا غلاة المستشرقين في المقال السابق حينما زعموا أن النبي ﷺ لم يكن أمّيا كما جاء في القرآن الكريم ويعتقد المسلمون ، بل كان قارئا ، وكاتبا ، ومؤلفا للقرآن الكريم، وتاجرا في مكة ، ولا يمكن لتاجر يعمل في الأموال ألا يكون قارئا وكاتبا (١).

وفندنا ما أثاروه من افتراءات تجاه هذا الأمر (أمية النبي الأكرم ﷺ) بالأدلة النقلية ، والعقلية ، بل وبشهادات ونصوص من أسفار العهد القديم ، ونواصل في هذا المقال أيضا تعقب هؤلاء – بمشيئة الله تعالى– حول فرية أخرى ابتدعوها ، وتحاملوا من خلالها على من وصفه ربه بالرحمة المهداة (رحمة للعالمين) ، ولم يكن همه الدنيا ولا زخارفها بل كان يطمع دائما في إنقاذ البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهداية ، ولم يُورث أموالا ، ولا حطاما إنما ورث التقوى والعلم ، ومع ذلك نجد من هؤلاء الغلاة الذين ابتُليت بهم البشرية من يدعي على الرسول الأكرم غير ذلك زورا وبهتانا !

ويزعم أن النبي ﷺ كان طامعا في الدنيا ، وأنه لم يكن من الزاهدين كما يعرفه بذلك كل المسلمين ، وغير المسلمين .

ولنناقش ما زعموا في هذا عبر هذه السطور بعون من الله –تعالى– وبنقل كلامهم بنصوصه حتى لا يقال إننا عليهم نتجنى .

أقوالهم في عدم زهد المصطفي ﷺ :

تزعم القول بعدم زهد المصطفي ﷺ : كبيرهم (جولد تسيهر) ، حيث وصف النبي الأكرم ﷺ بأنه كان من الطامعين في الدنيا ، العاشقين لها ، فملكت عليه قلبه ، واستحوذت على عقله وفكره ، وطلب الملك فيها خاصة بعدما ذهب إلى المدينة ؛ فخالف بذلك ما كان عليه الأنبياء السابقون ، وهذا نص ما قال :

١- «إن محمدًا تحول من الزهد في بداية دعوته بمكة إلى الطمع في المدينة وترك مبدأ التأسي بالأنبياء»(٢).

٢- وبهذا القول الغاشم تأثر (نيكولسون) فكتب :

(*) عميد كلية العلوم الإسلامية للوافدين – جامعة الأزهر.

(١)انظر المستشرق نيكولسن ومفترياته على الإسلام ص ٢١٧، والمقال السابق فى مجلة الأزهر عدد شهر رجب ١٤٣٩هـ.

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٨، ١٩.

«إن محمدا (الذي يجله المسلمون ويصدقونه ﷺ) بعد هجرته وانتصاراته تحول إلى سلطان أرض، وحول فعالياته الدينية إلى مسالك أرضية، وجمع لنفسه كل السلطات فأصبح أميرًا ومشرعًا وسياسيًا ودبلوماسيًا»[٣].

وعلى هذا النهج من التحامل سار عدد من المستشرقين الغلاة.

وللرد على هؤلاء أقول:

لم يثبت في أي كتاب معتبر أن النبي الأكرم ﷺ ينطبق عليه هذا الوصف الذي نسبه إليه المستشرقون، أنه تحول من الزهد إلى الطمع، ومن النبوة إلى الملك، وأنه خالف مسلك الأنبياء، كل ذلك لم يكن، بل إن الثابت الموثق والمنقول إلينا عن سيرة هذا النبي الكريم بالتواتر: أنه كان من أزهد الناس، وأحسنهم خلقًا، وعلى نهج الأنبياء يسير، سواء أكان ذلك قبل الهجرة أم بعدها، وليسمع المتقولون ما كان يقوله ﷺ إن كانوا ممن يسمعون، فهو يقول:

١- فيما رواه أبو هريرة عنه: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٤]. فهي ليست إذًا مما يجب التمسك به.

٢- وكان ﷺ يقرأ ذات يوم: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ويقول: «يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»[٥].

٣- و(لجولد تسيهر) الذي يظن أن النبي ﷺ ترك الزهد الذي كان عليه في مكة، وطمع في الدنيا، وهو بالمدينة- أسوق ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

« ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض» وفي رواية «حتى مضى لسبيله»[٦].

وفي حديث آخر عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضي الله عنها- أنها كانت تقول:

«والله يا ابن أختي إنّا كنا لننتظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله نار. قال: قلت: يا خالة: فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح[٧]، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه»[٨].

هذه هي حالة رسول الله ﷺ لمن لم يعرفها، وحالة أهله في المدينة لمن يتجاهلها، تحكيها عائشة - رضي الله عنها- بلسانها؛ ولا تجد غضاضة في نشر ذلك؛ لأن بيت النبوة ليس بيت دنيا، ولا بذخ، ولا ترف.

ومع ذلك يجلس (جولد تسيهر) على أريكته، ويأكل الطير الشهي، واللحم الطري، ويقول لأتباع النبي ﷺ ومحبيه: رسولكم لم يكن إلا عاشقًا للدنيا مترفا فيها!

خيبك الله من دعي!

أما نيكولسون الذي يتهم النبي - صلوات ربي وسلامه عليه - بأنه بعد الهجرة طمع في الدنيا، وتحول إلى سلطان جبار يملك كل السلطات، ومن ثَمَّ ترك النبوة، وطلب الملك فأخبره: إن كان جاهلا - وهو كذلك - أن القارئ لمسيرة الدعوة الإسلامية لم ير النبي ﷺ قد بدأ دعوته إلا باللين، وبالحسنى، وبالتي هي أحسن، ويوم أن قاتل كان قتاله للكفار دفاعًا عن الإسلام حينما تم اعتراضه، وإسكات دعوته، والهجوم

---

(٣) Nichololson. Aliterary History Of Arabsp. A.R. P175 نقلًا عن المستشرق نيكولسون ومفترياته ص ٢٩٤.

(٤) صحيح مسلم؛ ج٤ حديث رقم ٢٩٥٦ كتاب الزهد والرقائق؛ ص ٢٢٧٢.

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٧٣ حديث رقم ٢٩٥٨ نفس الكتاب.

(٦) السابق، ص ٢٢٨١ حديث رقم ٢٩٧٠.

(٧) الشاة أو الناقة.

(٨) السابق، ص ٢٢٨٣ حديث رقم ٢٩٧٢.



عليـه، وقتالـه وأصحابه ، وبأمر ممن أرسـله -جل في علاه - رد الاعتداء وقاتل:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)

ومعلـوم أن قتال الكفار المتهجمين على دين الله كان مشـروعا وموجودًا عنـد الأنبياء السـابقين؛ وقد سجل ذلك سفر التثنية عند اليهود وفيه ما يلي :

«وإذا دنـوت مـن قريـة لتقاتلهـا فادعهـم أولًا إلى الصلح فإذا قبلت وفتحت الأبواب فكل الشـعب الذي بها عبيد يعطونك الجزية»[٩].

وهذا هو ما فعله رسـول الله محمد ﷺ ، ولكنه لم يجعل من يكون عليه جزية عبدًا، بل له ما لنا وعليه ما علينا [١٠]، كما لا أعتقد أن كثيرا مما نسـبوه لموسى -عليـه السـلام- في التـوراة صحيح ونصـدق حقا ما حمله لنا القرآن عن قصته بيقين ، أما هؤلاء فالتحريف طبيعة فيهم.

وعليـه يتبيـن أن ما فعلـه النبي ﷺ لـم يكن بدعًا فـي دنيا القتال، وإنما كان موجودًا ومشـرعًا من قبل. فلـو كان القتـال الذي قـام به المصطفـى ﷺ من أجل الدنيا ومطامعها وملكها لوقع هذا الاتهام على الأنبياء السابقين، وهم جميعًا عنه مبعدون.

ثـم أقـول (لنيكولسـن) كيف يكون قتـال النبي محمد ﷺ للمشـركين من أجل الدنيـا والطمع فيها، وها هو سعد بن أبي وقاص يقول:

«إنـي لأول رجل من العرب رمى بسـهم في سـبيل الله ولقد كنا نغزو مع رسـول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة، وهذا السّـمُر حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشـاة)»[١١] وورق الحبلة ، والسمر : نوعان من شجر البادية..

وعلـى ذلـك يؤكد خالد بن غـزوان -رضي الله عنه- قائلا :

«لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما طعامنا إلا ورق الحبلة حتى قزحت أشداقنا»[١٢].

هـذا هو تمويـن الجيـش الـذي كان يقـوده النبي الأكـرم ﷺ الـذي يُقـال عنـه إنـه كان طامعًـا ومترفا وعاشقا للدنيا !

لـم يكـن تموين جيشـه ﷺ مـن الأرز الفاخر، أو السـمك الطري، أو الدجاج الشـهي، أو (البيتزا التي يعرفها هؤلاء)، بل كان من أوراق الأشـجار التي تنبت في الصحراء بين الأحجار، ومع ذلك تقبله هذا المتهم زورا مـن قبـل المترفيـن مـن المستشـرقين، وارتضاه أصحابـه الأطهـار، وجاهدوا فـي الله حق جهـاده حتى رفعـوا كلمة الله فـي العالمين. ومن قبـل عرفنا تموين بيتـه، وأهلـه، وبقيـة أسـرته، وطعامهـم، وتموينهم اليومي والشهري كما قصت الفاضلة زوجه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها-.

لذلك لم يتقبل مستشـرق منصـف مثل: (توماس كارسل) في كتابه(الأبطال)، لم يتقبل اتهام الحاقدين من المستشرقين لخير الخلق أجمعين بأنه لم يكن من الزاهدين فكتب وقال:

«لقد كان محمد زاهدًا متقشـفًا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسـه وسـائر أموره وأحواله. وكان طعامه عـادة الخبز والمـاء، وربما تتابعت الشـهور ولم توقد بداره نار، وكان يصلح ويرقع ثوبه بيده، فحبذا محمد من رجل خشـن الطعام مجتهـد في طاعة الله قائم النهار ساهر الليل دائبًا في نشر دين الله»[١٣].

ويكفينـا هـذا القـول المنصـف فـي قطع ألسـنة المتهميـن لأجل وأعظم شـخصية عرفتهـا الدنيا عليه من الله أفضل صلاة وأتم تسليم.

---

(٩) سفر التثنية ٢٠/١٠ - ١٦.

(١٠) ومعلوم أن موسى -عليه السلام- لم يخالف منهج الله وشرعه، إلا أننا نعلم أن في السفر تحريفًا.

(١١) صحيح مسلم، ج٤ ص٢٢٧٧، رقم ٢٩٦٦ كتاب الزهد والرقائق.

(١٢) المصدر السابق نفسه ، ص٢٢٧٩ ، رقم ٢٩٦٧.

(١٣) نقلًا عن كتاب زاهر الألمعي: (مع المفسرين والمستشرقين) ، ص ٨٥.